إعراب القرآن الكريم بين فهم أسلوبه ومعرفة قانون علم الإعراب في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري

بقلم
د/ عبد الرؤوف عباس (*)

ملخص

حاول هذا المقال الوقوف على ارتباط إعراب القرآن الكريم بفهم أسلوبه وسياقه، ويتعدى ذلك مجرد فهمنا لقانون الإعراب، وهذا من خلال تحليل أمثلة من كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، حيث نعرّج على المفهوم الصحيح لعلم الإعراب، ونبيّن مدى أهمية ارتباطه بمعرفة تفسير القرآن الكريم، ونفرّق بين علم الإعراب كقانون يرتبط بمعرفة أصول اللغة، أي نظامها الشعري والنثري، وإعراب القرآن الذي يتطلّب معرفة سياقه وأسلوبه ولغته، ولغة القرآن تختلف عن لغة الشعر والنثر في الأسلوب والسياق والمقصدية.

الكلمات المفتاحية:

الإعراب؛ التفسير؛ الأسلوب؛ ابن هشام الأنصاري.

مقدمة

نظرا للأهمية التي يحظى به النص القرآني لدى العلماء الباحثين العرب أعطت نظرية الغلط الإعرابي التي أثارها ابن هشام الأنصاري القيم البحثية التي تتماشى مع طبيعة النص القرآني ومعرفة أسلوبه أثناء الخوض في العملية الإعرابية لهذا النص، لذا جاءت فكرة البحث للتطلّع إلى ما يجمع بين الإعراب كنظام لغوي مجرّد والقرآن كنص لغوي

(*) أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية، جامعة الوادي - الجزائر.
arouati2018@gmail.com
تاريخ الإرسال: 2018/05/23 تاريخ القبول: 2018/11/13

له خصوصيته الأسلوبية التي تميّزه عن بقية النصوص.

وتم تقسيم البحث إلى أربعة مباحث، المبحث الأول هو الإطار المنهجي للبحث والذي تضمن أهمية البحث ومشكلته وهدفه ومنهجه وإجراءات البحث ومدوّنته، أما المبحث الثاني فتناول المنظومة المصطلحية والتعريفية لعناصر البحث (الأسلوب، الإعراب، علم الإعراب، مغني اللبيب، ابن هشام..)، وأما المبحث الثالث فقد خصص للدراسة التحليلية وتحليل النماذج الرابطة للموضوع والتي عرضها ابن هشام في مغني اللبيب .

وفي نهاية البحث خرج الباحث ببعض النتائج إضافة إلى المصادر التي اعتمد عليها في البحث.

المبحث الأول: الإطار المنهجي .

1.1 .الهدف والمنهج وإشكالية الدراسة:

جاء هذا المقال في إطار التعريف بخطورة إعراب القرآن الكريم دون الوقوف على أسلوبه ومعناه التفسيري؛ لأنه نص تكليفي ونحن متعبدون بمعانيه، كما أننا متعبدون بألفاظه، وبذلك فإن التحليل النحوي للنص القرآني إذا أدى إلى إنشاء بنية دلالية موازية ومخالفة لمقصود الشارع من الخطاب يعتبر تحليلا مستبعدا من عمل المعرب، يقول الإمام ابن القيم في هذا السياق: «لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن، فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره»[1]، لذا تقوم هذه الدراسة على الوصف والتحليل، لتعالج أحد النماذج التي يقدّمها التراث اللغوي وهو كتاب مغني اللبيب في إعراب القرآن الكريم كمعطى تفسيري ؛ لأنّ المنهج الوصفي يتيح إمكانية جمع

المعلومات وتصنيفها بدقة والتوصل إلى إجابات علمية دقيقة عن تساؤلات الدراسة التي يمكن طرحها فيما يأتي: هل يكون إعراب القرآن الكريم مبنيا على النظر إلى فهم علم الإعراب فقط؟ أي بم يحتمله فهم تركيب جمله كما ذكر ابن القيم؟ أم لا بدّ من الوقوف على فهم سياقه العام وأسلوبه المتخصص؟ ومن أهم الدراسات السابقة التي تعرضت لدراسة مغني اللبيب نذكر: (علم الإعراب في التراث اللغوي عند العرب من القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري): دراسة لسانية تاريخية، أحمد بلحوت، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2004، ومقال: (ابن هشام أنحى من سيبويه)، صالح الأشتر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، عدد40، سنة 1965.

2.1 .عيّنة البحث وحدوده الموضوعية :

تمت المعالجة البحثية لفكرة الموضوع في كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، وتم فرز الأمثلة التي طرحها ابن هشام والتي تتناولها فكرة موضوع البحث التي تم طرحها.

المبحث الثاني : المنظومة المصطلحية للموضوع

1.2 الأسلوب:

كلمة أسلوب لغة كما في لسان العرب تحتمل ثلاث دلالات: السّطر من النّخيل، الطّريق أو المذهب، فنون القول، فالأسلوب يحمل معنى الطريق، فإذا قلنا سلكت أسلوب شخص ما إذا اتبعت طريقته كما أن له معنى طريقة الأديب في الكتابة، عن طريق اختياره لألفاظ محددة للتعبير بها عن معاني مختلفة، فلكل أديب أسلوبه الخاص به يؤثر على المتلقي ويترك فيه بصمات ذاته، قال ابن منظور: «يقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب؛ يقال:أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأُسْلوبُ، بالضم: الفَنُّ؛ يقال: أَخَذ فلانٌ في أَساليبَ من القول أَي أَفانِينَ منه؛ وإِنَّ

أَنْفَه لفي أُسْلُوبٍ إذا كان مُتكبِّراً؛ قال: أُنوفُهُمْ، بالفَخْرِ، في أُسْلُوبِ، * وشَعَرُ الأَسْتاهِ بالجَبوبِ يقول: يتكبَّرون وهم أَخِسَّاء، كما يقال: أنف في السماء واست في الماء، والجَبوبُ: وجهُ الأَرضِ، ويروى: أُنوفُهُمْ، مِلفَخْرِ، في أُسْلُوبِ أَراد مِنَ الفَخْرِ، فحَذف النونَ. والسَّلَبُ: ضَرْبٌ من الشجر ينبُتُ مُتَناسقاً، ويَطولُ فيُؤخَذُ ويُمَلُّ، ثم يُشَقَّقُ، فتخرجُ منه مُشاقةٌ بيضاءُ كالليفِ، واحدتُه سَلَبَةٌ، وهو منْ أجود ما يتخذ منه الحبال، وقيل: السَّلَبُ لِيفُ المُقْلِ، وهو يُؤْتى به من مكة. الليث: السَّلَبُ ليفُ المُقْل، وهو أَبيض؛ قال الأَزهري: غَلِطَ الليث فيه؛ وقال أَبو حنيفة: السَّلَبُ نباتٌ ينبتُ أَمثالَ الشَّمَع الذي يُسْتَصْبَحُ به في خِلْقَتِه، إِلاَّ أَنه أَعظمُ وأَطولُ»[2]

ولما كان لكل تعريف لغوي مدلول موضوعي يحتاج لحدود واضحة لصياغة المفهوم العلمي المنتمي لميدانه فإنّ النحاة العرب فرقوا بين الكلام كبنية والكلام كخطاب وهي مقابلة بين الوضع والاستعمال في اللغة: إذ هي كوضع شيء واستعمال شيء آخر، وهذا قريب مما أثبتته اللسانيات الحديثة من التفريق بين الكلام واللغة، إذ اللغة تمثل الوضع والكلام يمثل الاستعمال، واللغة في وضعها مشتركة بين الجميع لكن استعمالها يختلف فيبرز هناك الأسلوب، كأن الأسلوب هو طريقة استعمال أوضاع اللغة عند كل فرد أي هو الطريقة في التعبير الممثلة للكلام كخطاب، وتختص به البلاغة.

يقال للقرآن أسلوب جسّد إعجازه وأفحم من يعارضه لذا جاء اهتمام علماء البلاغة بأسلوب القرآن خاصة، والموضوع الأساسي للبلاغة هو النظر في التلازم القائم بين طرق التعبير وبين الأغراض، لذا إذا تناول الباحث نصا معينا، محللا عناصره، مبينا العلاقات الرابطة بينها ونتائج تركبها على هيئة مخصوصة، إذا تناول ذلك كله في إطار منظومة معرفية معينة(علم التفسير، تحليل الخطاب، ..الخ)، فإن حاصل البحث هو بيان مفصل للمعنى المجمل الذي يفهمه المتلقي، أو هو الذي نسميه المعنى المفصل (كان هذا ما نعنيه بالأسلوب القرآني أي كيف نفسر الخطاب في منظومة القرآن الكريم

ومن منظوره) أي كيف النظر في المراجع والإحالات اجتماعية وثقافية واسعة، التي يبنى عليها المعنى القرآني، فالمعنى المجمل ناتج عن ظاهر اللفظ أما المعنى المفصل فهو الناتج عن معطيات التخاطب وهو الذي يسمى المعنى القرآني.

2.2 ترجمة مختصرة لابن هشام الأنصاري:

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري الخزرجي، ولد سنة 708هـ بالقاهرة، وبها توفي سنة 761هـ، تتلمذ على جماعة من العلماء أشهرهم ابن المرحل والتبريزي وابن السراج وأخذ عن أبي حيان، من تآليفه: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، شرح شذور الذهب، شرح قطر الندى، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، وغيرها.[3]

1.3.2 تعريف مختصر بكتاب المغني:

كتاب"مغني اللبيب" هو شرح موسّع لمقدّمة "قواعد الإعراب" التي وضعها ابن هشام للمبتدئين في علم الإعراب، ويرى الدكتور فخر الدين قباوة على ضوء هذه المعطيات، أن المغني هو الحلقة الثالثة في سلسلة جهود ابن هشام في التأسيس لعلم الإعراب، بعد القواعد الصغرى وهي رسالة قواعد الإعراب، والقواعد الكبرى وهو الكتاب الذي كان ضياعه سببا لتأليف المغني.[4]

2.3.2 سبب التسمية:

من خلال التمعّن في عنوان الكتاب يمكن أن نستجلي بعض مقاصد ابن هشام من هذا المصنف:

أولا: أن يكون فيه غنية عن غيره، أي كفاية ووفاء بالمباحث المنثورة في غيره من الكتب.

ثانيا: أن المغني يتسم بتركيز العبارة إلى درجة الاستغلاق في بعض المواضع، مما يحوج لزاما إلى بسط وبيان للمقصود، ويميل ابن هشام إلى مثل هذا الأسلوب عادة

عند نقل المذاهب المختلفة في المسألة وتخريجها على كل مذهب منها، وربما كان هذا هو الذي أدى به إلى أن يعنون كتابه بـ"مغني اللبيب"، فهو لا يغني إلا من كان لبيبا عاقلا يحسن فك العبارة وفهم المقاصد.

3.3.2 أهمية المغني:

كتاب "مغني اللبيب". باعتبار دقته من حيث منهج التأليف ـ حظي باهتمام الدارسين، وصار محورا لحركة علمية معتبرة، تجسدت في عشرات الأعمال من بين شرح وحاشية ونظم وغير ذلك، فممن شرحه: شرح المغني: لأحمد بن محمد بن الملا، وعنوانه: "منتهى أمل الأريب في الكلام على مغني اللبيب".[5]

ـ شرح القاضي مصطفى ابن الحاج حسن الأنطاكي.[6]

ـ حاشية مصطفى بن بير محمد المعروف بعزمي زاده.[7]

4.3.2 موضوع المغني:

المغني كتاب في علم الإعراب، يقول ابن هشام في مزالق إغفال المعنى في التحليل الإعرابي: «وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفردا ومركب»[8]، ويقول في موضع آخر: «وها أنا مورد بعون الله أمثلة متى بني فيها على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد، وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب»[9]، ويقول في الجهة الثانية من الباب الخامس: «أن يراعي المعرب معنى صحيحا ولا ينظر في صحته في الصناعة».[10]

وقد جاءت أبواب كتاب المغني مرتّبة على النّحو الآتي: فأوّل ذلك باب المفردات أو الأدوات وحروف المعاني، يتبعه باب الجمل وأقسامها، فالباب الثالث في أشباه الجمل، ثم الباب الرابع في أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها، تناول فيه كثيرا من الفروق النحوية والشروط وغير ذلك، ويظهر جليا أن هذه الأبواب الأربعة تعالج "مادة لغوية" في إطار توظيفها الإعرابي، فالسمة الجامعة بين هذه الأبواب هي

أنها تعالج المعطيات النّحوية التي يوظفها المعرب لتحليل الكلام.

فإذا انتقل النّاظر إلى الباب الخامس"في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها"، شعر القارئ بقفزة موضوعية، فبينما هو يقرأ الكتاب على ضوء سؤال: ماذا نعرب؟ إذا هو ينتقل إلى سؤال آخر هو: كيف نعرب؟ ويصاحب هذا السؤال القارئ في باقي الأبواب: الباب السادس: "في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها"، ثم" في كيفية الإعراب"، وهو الباب السابع، وأخيرا" في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية"وهو الباب الثامن .

4.2 علم الإعراب وارتباطه بإعراب القرآن الكريم:

2.4.1 الأمر الأول: المعنى اللغوي لكلمة الإعراب، حيث إن جذرها المعجمي (ع ر ب) يدور حول ثلاثة معان[11]:

1 – البيان والظهور: ومنه أعرب فلان عما في نفسه: أي أبان وأظهر.

2– التغير والتحول: ومنه قولهم :عرِبت معدة البعير، أي تغيرت وحدث فيها خلل وفساد.

3–الإجادة والتحسين: ومنه قولهم :جارية عَرُوب: أي ضحاكة متحببة إلى زوجها.

2.4.2 الأمر الثاني: المعنى الاصطلاحي للإعراب:

يتبين في كتاب سيبويه هذا المصطلح في دلالته على المظاهر الصوتية التي تلحق آخر الكلمات لمقتضى العامل، أما الرماني يقرر هذا المفهوم في "حدوده" بصفة مباشرة فيقول: «الإعراب تغيير آخر الاسم لعامل»[12]، وقد نبّه السهيلي إلى هذا في إشارة ذكية حيث يقول: «الإعراب الذي هو الرفع والنصب والخفض محله أواخر الكلم، ولبعض النحويين في تعليل ذلك كلام يرغب عنه، والحكمة فيه عندي ـ والله أعلم ـ أن الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلا أو مفعولا وغير ذلك، وتلك المعاني لا تحصل للاسم إلا بعد حصول العلم بحقيقته ومعناه، فوجب أن لا يتقدم الإعراب الاسم ولا يتوسطه في الوجود، وأن يترتب مدلوله وهو

الوصف بعد مدلول الاسم، وهو المسمى الموصوف بذلك الوصف. والله أعلم».[13]

إنّ تتبع دلالات مصطلح الإعراب في التّراث اللساني العربي لم يقف عند هذا الحد، بل أسفر عن مفهوم آخر ليس كالمفهوم السابق، وإنّما هو مفهوم ينتمي إلى إجراءات البحث اللغوي، وهو "التحليل" الذي يدل عليه مصطلح الإعراب في سياقات كثيرة؛ إذ ارتبط مصطلح الإعراب عند من بحثوا في إعراب القرآن ومعانيه. مثل: أبي البقاء والنحاس والأخفش الأوسط. بالقرآن والقراءات، أي بنص منجز يحتوي على الضبط الإعرابي الصوتي الذي يقتضيه التركيب، يقول أبو البقاء العكبري في مقدمة كتابه "التبيان في إعراب القرآن": «فأول مبدوء به من ذلك تلقف ألفاظه عن حفاظه، ثم تلقي معانيه ممن يعانيه، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه، ويتوصل به إلى تبيين ألفاظه ومغزاه، معرفة إعرابه، واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه».[14]

وجمعا بين هذه المفاهيم يمكن أن نستشف أنّ الإعراب تحيل للنصوص يهدف إلى بيان مستوى من مستويات المعاني.

5.2 علم الإعراب:

الإعراب كعلم تداخل مفهومه في التراث مع علم النحو، فيظهر كتاب دلائل الإعجاز هذا التداخل، لأن فكرة النظم نفسها عند الجرجاني قائمة على مفهوم مراعاة معاني النحو.[15]

أما كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ففرّق بين علم النّحو وعلم الإعراب، حيث يقول: «ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل، فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية، والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية، وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب».[16]

فالكثير من أبواب الكتاب تثبت أنّ ما يعالجه "المغني" هو التطبيقات التحليلية للنصوص، لا الأبواب النحوية: مثل: . الباب الخامس: في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها[17]، . الباب السادس: في التحذير من أمور اشتهرت بين

المعربين والصواب خلافها[18]، وهنا يظهر بوضوح توظيف مصطلح الإعراب بمعناه التحليلي الذي يهدف إلى استجلاء المعنى التركيبي للنص انطلاقا من وصف مكوناته على ضوء المعطيات النحوية.

فعلم الإعراب لا يراد منه إلا الأصول التي يتولد منها الإجراء، أي الضوابط التي يتعيّن على المعرب معرفتها للتعامل مع نص معيّن، وبذلك فإن مصطلح علم الإعراب يصير مرادفا لأصول عملية الإعراب، وفي هذا السياق عرف أحمد بلحوت علم الإعراب بأنّه «علم بيان تفسير الكلام»[19]، فربط الإعراب بالعملية التفسيرية للكلام، لأنّه فهم عن ابن هشام في المغني هذا الاهتمام، لذا كان كتاب المغني لابن هشام بُني على أنّ إعراب القرآن الكريم مرتبط تماما بفهم أسلوبه وتفسيره ، وفيما يأتي نوضح أمثلة من الكتاب في علم الإعراب؛ فإن بعض عناصر عملية الفهم اللغوي ينبغي أن تكون حاضرة حضورا فعليا واعيا عند المعرب، ومن هنا كان مدخل ابن هشام إلى مراعاة معامل المعنى في الإعراب إذ يقول: «وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه: مفردا أو مركبا، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه»[20]، فأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، وهذا يدل على أن عملية الفهم سابقة لعملية الإعراب، ولا يمكن إعراب وحدة ما إذا لم تعلم دلالتها لأنه لا يمكن تحديد علاقاتها الدلالية بالوحدات الأخرى على ضوء المنطق اللغوي.

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية:

1.3 فهم لغة القرآن والتفريق بينها وبين لغة الشعر والنثر في إطار الأسلوب القرآني:

من المسائل التي تعرض لها ابن هشام الأنصاري عند حديثه عن جهات الاعتراض، تفرقته المهمة بين بعض الخصائص الاستعمالية في الشعر والنثر، وهذا ما يشير إلى معيار أسلوبي آخر ينبغي التنبه إليه في التعامل مع هذين الجنسين من الكلام، يقول ابن هشام في حديثه عن الشروط النحوية: «النوع الرابع عشر: تجويزهم في

الشعر ما لا يجوز في النثر، وذلك كثير، وقد أفرد بالتصنيف. وعكسه، وهو غريب جدا، وذلك بدلا الغلط والنسيان، زعم بعض القدماء أنه لا يجوز في الشعر، لأنه يقع غالبا عن ترو وفكر»[21].

في إطار التفريق بين اللفظ والمعنى كان لعلماء اللسان العربي نصيب وافر من هذا البحث، بل إن نصيبهم كان متميزا تميزا واضحا بالنسبة إلى غيرهم، ذلك لأن عامة العلماء الذين توجهوا إلى دراسة معاني النصوص إنما كانوا يرمون إلى معنى نص معين هو نتاج لسياق لغوي واجتماعي وثقافي محدد، أي أنهم كانوا يرمون إلى كشف معنى لخطاب تكتنفه قرائن محددة للوصول إلى "مراد المتكلم". وقد تبلورت هذه النظرة الغائية بشكلها الناضج في ما عرف عند علماء الأصول بـ"نظرية المقاصد"[22]، والتي يرجع الفضل في بسطها وإيضاح معالمها إلى الأصولي الفذ أبي إسحاق الشاطبي في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة". وعلى غرار هذا التصور؛ فإن علم التفسير مثلا قائم على هذه الغاية، وهي مراد الشارع سبحانه في خطابه للمكلفين. وأما علماء العربية فإن طبيعة ميدانهم كانت تملي عليهم طلب معنى آخر هو "المعنى النحوي"، أي معنى الشكل التركيبي المجرد المتعالي عن النص المادي، ولذلك فإن نتائج بحوثهم كانت معطيات وأدوات وآليات لغيرهم من دارسي النصوص، لأن أي نص هو: شكل لساني، ثم مادة تتدخل فيها معاملات نفسية واجتماعية وثقافية...الخ.

لما كان الإعراب علما يهدف إلى التفسير النحوي للنصوص بوضعها أولا في سياقها المعرفي التخصصي الذي يأخذ بالاعتبار كل ما هو من قبيل الاختيارات الدلالية أو الأسلوبية التركيبية كان على المعرب فيه أن يكون وقّافا على أسلوبه وسياقه قبل الإعراب.

وهي في الحقيقة قضية استنتاجية غير مصرح بها بوضوح، وفحواها أن القرآن الكريم يحمل أسلوبيا على ما هو أوضح وأبين وأبعد عن كل صور الاعتلاج والتكلف والبعد عن الصياغة البيانية المستحسنة في اللسان العربي، ولهذا المعيار ارتباط وثيق بمسألة

الإعجاز القرآني، وما لها من أهمية في دراسة القرآن الكريم من كل جوانبه، ومن الجانب اللغوي-على وجه الخصوص-في كل مستوياته، لأنه من أهم مظاهر الإعجاز.

وقد كانت هذه النقطة ببال كثير من المفسرين اللغويين، فنجد الزمخشري يقول: «ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليما من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل».[23]

ويقول ابن الطيب الفاسي في معرض نقده لبعض تخريجات ابن جني النحوية: «وارتكاب التأويل في الآي والأحاديث بقدر الإمكان؛ إنما يسوغ إذا سلم من التكلف والركاكة الخارجة عن نهج الفصاحة»[24]، وكذلك يشير إلى هذا المفهوم أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، مع تركيز على مسألة البون بين النظم القرآني، والنظم المحتمل في الكلام البشري، يقول في سياق بيان شرطه في إعراب القرآن:«.. منكّبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما، من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة».[25]

مع مراعاة مقامات الخطاب وسياقات الورود في النص، كما بينه عبد القاهر الجرجاني، وهذه المعرفة المشروطة بهذا الشرط هي التي يتحدث عنها ابن قتيبة في قوله:«وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما اختص الله به لغتها دون جميع اللغات».[26]

2.3. تجليات الدراسة في كتاب مغني اللبيب :

المثال الأوّل:

ينتقد ابن هشام من أعرب قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ**

﴿كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (سورة القصص:62) على تقدير: تزعمونهم شركاء، والأولى أن يقدر: تزعمون أنهم شركاء، مستدلا على ذلك بآية أخرى هي نظير لهذه الآية في أسلوبها، وهي قوله تعالى:﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (سورة الأنعام:94)، فرأى أنّ: الغالب على زعم ألا يقع على المفعولين صريحا، بل على أنّ وصلتها، ولم يقع في التنزيل إلا كذلك».[27]

ويوضح هذا المثال حمل آية قرآنية على آية أخرى من أجل تقاربهما أسلوبيا ودلاليا، إلا أنّه يزيدنا فائدة أخرى: هي استقراء الوجه الاستعمالي في النص إذا كان استعمالا لغويا، أي وجها شائعا، ولذلك كان تحليل الآية بتقدير المضمر على وجهه، تحليلا سائغا لورود نظيره، فالنص القرآني في نظر ابن هشام يرد بعضه إلى بعض في تراكيبه وأساليبه وأفانين التعبير فيه، لذا طبق في إعراب هذه الآية قاعدة الحمل الأسلوبي لما حملها على الآية المناظرة لها في سورة أخرى، وتندرج قاعدة الحمل الأسلوبي عند المفسرين تحت قاعدة أوسع هي قاعدة:"تفسير القرآن بالقرآن"، كما بيّن الزركشي ذلك في قوله: «أحسن طريق للتفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه قد بسط في آخر».[28]

لذا يقول ابن هشام في الحمل الأسلوبي في إعراب القرآن الكريم مبيّنا جهات الاعتراض على المعرب: «الجهة السابعة: أن يحمل كلاما على شيء، ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه».[29]

المثال الثاني:

يرى ابن هشام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (الأنعام 95)، إنّه عطف على: (فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ)، ولم يجعله معطوفا على: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)، لأن عطف الاسم على الاسم أولى، ولكن مجيء قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ

﴿مِنَ الْحَيِّ وَيُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الروم: 19)، بالفعل فيهما يدل على خلاف ذلك».[30]

يظهر من خلال هذا المثال أن ابن هشام يعتمد على آية نظيرة للآية المحللة من أجل مقاربة شكلها التركيبي، فآية الأنعام تحتمل أن يكون عطف (مخرج) فيها على (فالق)، بالنظر إلى اتحادهما في الجنس والصيغة والعائد، كما تحتمل أن يكون العطف على (يخرج)، بالنظر إلى اتحادهما في الاشتقاق والدلالة، وكذلك بالنظر إلى تقاربهما في العمل من جهة أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل في كثير من الحالات. ولئن كان للاحتمال الأول مرجحات بنوية أكثر، خاصة مرجح اتحاد المعطوف والمعطوف عليه في الاسمية كما أشار إليه ابن هشام في توجيه الزمخشري فإن ورود نظير للآية لا يحتمل إلى وجه العطف الثاني، يرجح أسلوبيا أن هذا الوجه هو المقصود في آية الأنعام، وهذا يدل على أن تحصيل الانسجام الأسلوبي عند ابن هشام مقدم على أولويات القواعد النحوية.

المثال الثالث:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الشورى:51] تحتمل (كان) الأوجه الثلاثة، فعلى الناقصة الخبر إما (لبشر)، و(وحيا) استثناء مفرغ من الأحوال، فمعناه موحِيا أو موحًى، أو (من وراء حجاب)، بتقدير: أو موصِّلا ذلك من وراء حجاب، و(أو يرسل) بتقدير أو إرسالا، أي أو ذا إرسال، وإما (وحيا) والتفريغ في الأخبار، أي ما كان تكليمهم إلا إيحاء أو إيصالا من وراء حجاب أو إرسالا، وجعل ذلك تكليما على حذف مضاف، و(لبشر) على هذا تبيين، وعلى التمام والزيادة فالتفريغ في الأحوال المقدرة في الضمير المستتر في (لبشر) »[31].

يقترح علينا ابن هشام في هذا المثال مثلا صورية كثيرة لتفسير البنية في الآية الكريمة، منطلقها كلها من تحديد وظيفة (كان) في الجملة، ويمكن تفصيل الأمر

بالشكل التالي:

الحالة الأولى: كان ناقصة، وعلى هذا يكون إعراب الجملة على أحد الأوجه التالية:

أ-خبر كان هو متعلق شبه الجملة (لبشر) المقدم على اسمها الذي هو المصدر المؤول من (أن يكلمه الله)، وما بعد حرف الحصر (إلا) أحوال على التأويل، فوحيا مؤول بمشتق بحسب صاحب الحال، فإذا كان صاحب الحال هو اسم الجلالة فالتقدير: موحيا .

ب-خبر كان هو (وحيا)، فهو موضع التفريغ في الاستثناء وما بعده عطف عليه، وتقدير الكلام حينئذ: وما كان تكليم الله لبشر إلا وحيا أو من وراء حجاب أو إرسالا. وقول ابن هشام:" وجعل ذلك تكليما على حذف مضاف" مقصوده أن أصل الكلام: إلا تكليم إيحاء أو تكليما من وراء حجاب أو تكليم إرسال، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.[32]

الحالة الثانية: كان تامة، لأنها في سياق نفي، وعليه فـ (أن يكلمه الله) في تأويل مصدر في محل رفع فاعل، والتفريغ كذلك في الأحوال مثل الحالة الأولى.

الحالة الثالثة: كان زائدة، فالمصدر المؤول رفع بالابتداء، والتفريغ في الأحوال إلا أن الحال (وحيا) سدت مسد الخبر، فهو حال من مصدر مرفوع بالابتداء.

فهذه مجموعة تفسيرات يمكن أن تقدم لهذه البنية لا يحكم لأحدها بالترجيح من جهة الصناعة إلا بقدر فصاحة الصورة المخرج عليها: لغويا وبيانيا. ونلاحظ أن كل هذه التفسيرات قد اعتمدت على آليات التخريج المختلفة من تقدير وتأويل، إلا أن الضابط الوحيد هو صحة الصورة.

المثال الرابع:

في قوله تعالى: ﴿**وأُزلفت الجَنَّةُ للمُتَّقين غيرَ بَعيد**﴾ **[سورة ق:31]** أي إزلافا غير بعيد، أو زمنا غير بعيد، أو أزلفته الجنة-أي الإزلاف-في حالة كونه غير بعيد، إلا أن هذه الحال

مؤكدة، وقد يجعل حالا من الجنة فالأصل غير بعيدة، وهي أيضا حال مؤكدة[33]، أي: يكون المقدر مصدرا، أي: وأزلفت الجنة إزلافا غير بعيد، أو يكون المقدر ظرفا، وجعله ابن هشام ظرف زمان بتقدير زمنا غير بعيد، أو يكون المقدر ضميرا من مصدر الفعل.

وفي الجدول الآتي نختصر ما بقي من آيات وردت في المغني بيّن ابن هشام أنّ الوجه الصواب في إعرابها يكون حسب معطيات النص القرآني:

اسم السورة ورقم الآية	تأويلاتها الإعرابية حسب السياق	موضع تأويلها في المغني
سورة الشورى:11	اختلف في زيادة الكاف وفي زيادة الاسم أو الضمير.	203/1
سورة البقرة: 25	أن تكون اسما بمعنى وقت، فلا تحتاج على هذا إلى تقدير وقت، والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فتحتاج إلى تقدير عائد منها، أي: كل وقت رزقوا فيه.	266/1
سورة الأنفال:05	اختلف في كون الكاف للقسم وبيّن ابن هشام أنّها لا تصلح للقسم.	625/2
سورة الليل: 14	اختلف في لفظ (تلظى)بين الماضي والمضارع، ورجح ابن هشام الثاني لورود قراءات وتفسيرات بـ: تتلظى.	653/2
سورة الأنعام: 154	أ-"الذي"موصول اسمي، وهو التحليل المشهور في النحو العربي، ويترتب عليه حاجة جملة الصلة إلى تقدير عائد، أي: تماما على الذي أحسنه. ب-"الذي" موصول حرفي، بمنزلة ما، وعليه فإن جملة الصلة لا تحتاج إلى عائد، والتقدير: تماما على إحسانه. ج-"الذي" نكرة موصوفة، وهذا التصور سيكون له أثره في تحليل ما بعده، حيث يعرب "أحسن" صفة مجرورة.	650/2

الخاتمة ونتائج الدراسة:

ـ بنى ابن هشام تصوره لعلم الإعراب على تطبيقاته في فرع خاص من فروعه هو إعراب القرآن الكريم

ـ النظر في النص سابق منطقيا ومنهجيا على النظر في القانون النحوي الذي يوصف في ضوئه.

ـ القرآن الكريم نص منسجم من حيث التوظيف اللغوي لذا فإنّ تخريج المواضع الملبسة من القرآن الكريم على وجه يخالف هذه المعطيات الابتدائية يعتبر غفلة عن المعاملات الأولية للخطاب القرآني، بمعنى أنه وصف للخصائص اللغوية للقرآن بغير ما هي عليه.

ـ على معرب القرآن أن يوفّق بين قواعد الإعراب في القانون النحوي وبين معطيات النص.

ـ أيضا يمكن أن يتبيّن للباحث أنّ كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ليس مجرّد كتاب في قانون الإعراب بل هو من الكتب المساعدة على تفسير القرآن الكريم وبيان مغازي التفسير وكيفية الإعراب الصحيح للقرآن الكريم، وعدم إمكانية فصل إعرابه عن فهم سياقه وأساليبه ومعانيه.

ـ الحواشي والإحالات:

[1]. التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط01، 1990، ص277

[2] – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1414هـ/ 2003م، 1/ 473، 474

[3]. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، ط02، 1979، (68/2)

[4]– ينظر: شرح قواعد الإعراب للكافيجي، تحق فخر الدين قباوة، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط02، 1993، ص08-09)

[5] – ابن هشام أنحى من سيبويه، صالح الأشتر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ع40، 1965، (307/40)

[6] – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ومعه إيضاح المكنون وهدية العارفين في أسماء المؤلفين، إسماعيل البغدادي، بيروت، دار الفكر، دط، 1990، (1754/2)

[7] -كشف الظنون، حاجي خليفة، (2/1753)

[8] – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، ط03، 1972، (2/605)

[9] – المرجع السابق، (2/607)

[10] – نفسه، (2/618)

[11] – بنظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحق، عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، دط، 1979، (4/299)، وينظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الإفريقي، تحق عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 2003، (1/683)

[12] – الحدود في النحو، أبو الحسن الرماني، تحق بتول قاسم ناصر، مجلة المورد، بغداد، مجلد23، عدد01، سنة 1995، ص37

[13] – نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 1992، ص66

[14] – التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، بيروت، دار الفكر، دط، 2005، (1/07)

[15] – ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق ياسين الأيوبي، بيروت، المكتبة العصرية، ط01، 2000، ص87، وص127

[16] – مغني اللبيب، ابن هشام، (1/13)

[17] – المرجع السابق ، (2/605)

[18] – نفسه ، (2/749)

[19] – علم الإعراب في التراث اللغوي عند العرب من القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري: دراسة لسانية تاريخية، أحمد بلحوت، دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2004، ص517

[20] – مغني اللبيب، (2/605)

[21] – المرجع السابق، (2/679)

[22]–انظر تأصيل الشاطبي لنظرية المقاصد في: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، دار الأمان، الرباط، دط، 1991. والقراءة في الخطاب الأصولي: الاستراتيجية والإجراء، يحيى رمضان، عالم الكتب الحديث، إربد، ط01، 2007، ص150 وما بعدها.

[23] – الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ومعه حاشية ابن المنير الإسكندراني المالكي المسماة: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الأخيرة، 1966، (1/189)

[24] – فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، محمد بن الطيب الفاسي، تحق محمود يوسف فجال، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط02، 2002، (2/710)

[25] – البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط01، 1993، (1/103)

[26] – تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، ط02، 1973، ص12

[27] – مغني اللبيب، (1/681)

[28] – البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط01، 2004، (2/113)

[29] – مغني اللبيب، (2/681)

[30] – نفسه، (2/681)

[31] –مغني اللبيب، (2/641).

[32] –ينظر هذه المسألة في: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط01، دتا (3/130)

[33] .ينظر: مغني اللبيب، (2/643-644).

Qoran I'ràb; between understanding his style and knowledge the law of i'ràb science -moughni Al-labib d'ibn hichem al'ansàri-

Dr. Abderraouf Abbas
arouati2018@gmail.com
El-oued University

Abstract:

This article presents the model developed by Arab grammarians under the name "al-I'ràb"; In relation with the Qoran; And his relationship to understanding his style.

We aimed in this article as a goal, the analysis of Examples. What was presented Ibn Hichem Al'Ansàri in his book of Moughni Al-labib

In the examples of the fifth section of this book, we wanted to clarify, and the analysis of the main causes of the inconsistency of gram-matic interpretations in the context of (Al-i'ràb Science), the research in Quran I'ràb This choice takes into account the importance of this work in the elaboration of an operational and revealing theory for the grammatical analysis which takes into account not only the explanation of the grammatical composition of the text treated. , but also its grammatical interpretation while referring to its semantic, contextual, and the purpose.

Keywords:

Al-i'ràb; Qoran; style; grammairiens; moughni Al-labib d'ibn hichem al'ansàri.